التـــوارد والاقـــتران بـين المفـــردات

دراسة أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي

في شعر المتنبي

إعداد الدكتور:

فيصـــل محمد حســـن العسـيري

أستـــاذ البلاغـــة والنقـــد المساعـــد

بجامعـــة الأمـير سطـام بن عبد العزيز

بالمملكـــة العربيـــة السعـــوديـــة

ملخـــص:

تخصص البحث في إيجاد المناسبة بين المتواردات والمقترنات من الألفاظ في سياق واحد، حيث يقوم على الجمع بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية اللغوية وغير اللغوية للمفردة في شعر المتنبي أنموذجًا، والتي تبين حجم التوافق بين اللفظين المتجاورين في جملة واحدة من حيث الدلالة المعجمية والسياقية، ثم تبرير الكسر الدلالي عن طريق المجاز أو الكناية والتعريض وغيرها من مسوغات التوارد والاقتران.

وتكمن أهمية البحث في دراسته عدَّة علاقات سوغت الجمع بين الألفاظ، وبيان مناسبة الإسناد ومسوغاته، والمعنى الجامع بين الألفاظ، وسبب تآلفها؛ ذلك أن الجمع بين المفردات مرحلة قبل الصحة النحوية، أو التلازم بين المفردات حتى تكون جملة صحيحة.

الكلمات المفتاحية: التوارد والاقتران – المتنبي – السياق اللغوي- والسياق المعجمي- الدلالة المعجمية – توارد الألفاظ – علاقة الاقتران بين المفردات .

Importance and conjugation between vocabulary Astylistic study of the relationship between pronunciation and linguistic context In Mutanabi 's poetry

Preparation by the doctor**:**
Faisal Mohammed Al-Asiri
Professor of rhetoric and assistant criticism
University of Prince Sattam bin Abdul Aziz
In the Kingdom of Saudi Arabia
aaa-ssff@hotmail.com

Abstract

The research is specialized in finding the appropriate between the resources and the conjugations of the words in a single context. It is based on the combination of the lexical and linguistic contextual meanings of the individual in the Mutanabbi model. This shows the compatibility between the two adjacent sentences in one sentence in terms of lexical and contextual significance، Semantic fracture by metaphor، metaphor، exposition، and other sources of interpolation and conjugation.

The importance of research in his study is several relationships that have been used to justify the combination of words، to indicate the appropriateness of the attribution and its rationale، and to the whole meaning of the words and the reason for their combination. The combination of words is a stage before grammatical health،

Keywords: telepathy and conjugation - Mutanabbi - linguistic context - and lexical context - lexical significance - word pronunciation - conjugation relationship between vocabulary.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن الدراسات البيانية والتحليلية تنطلق غالبًا من رؤية تكاملية عند دراسة النص وبيان أسراره؛ إذ تبحث في كل ما يحد النص من ظروف ومحددات، أو خواص تتصل به، وأهم هذه المناهج الحديثة هي الدراسة السياقية، حيث ساهمت في إثراء المدرسة النقدية والتحليلية بتنوع أساليبها، وشمولية عناصرها لكل ما يحيط بها.

انطلاقًا من هذه الأهمية السياقية والتناسبية للدراسة التحليلية فإن دراسة المناسبة بين المفردات في سياق واحد تنطلق من مرجعيتها السياقية اللغوية الدلالية، والربط بين المناسبة المعجمية للألفاظ ومناسبة التأليف بين المفردات بما يحقق الترابط بين الألفاظ والجمل، وتوافق ذلك كله مع سياق الحال حتى يكون الكلام تامًا صحيحًا.

وقد اهتم العلماء منذ القدم بمسألة الجمع بين المقترنات من المفردات، والمقترنات من الكلمات، وإيجاد المسوغ للجمع بينها، ثم مراعاة بلاغتها في أداء المعنى الذي يقصده الناظم، مع مراعاة جانب المخاطب، وعناصر الحال ومناسبة اللفظة للمقام، والظروف المحيطة بالموقف الكلامي.

هذا البحث تخصص في إيجاد المناسبة بين المتواردات والمقترنات من الألفاظ في سياق واحد، حيث يقوم على الجمع بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية اللغوية وغير اللغوية للمفردة في شعر المتنبي أنموذجًا، والتي تبين حجم التوافق بين اللفظين المتجاورين في جملة

واحدة من حيث الدلالة المعجمية والسياقية، ثم تبرير الكسر الدلالي عن طريق المجاز أو الكناية والتعريض وغيرها من مسوغات التوارد والاقتران.

وتكمن أهمية البحث في دراسته عدَّة علاقات سوغت الجمع بين الألفاظ، وبيان مناسبة الإسناد ومسوغاته، والمعنى الجامع بين الألفاظ، وسبب تآلفها؛ ذلك أن الجمع بين المفردات مرحلة قبل الصحة النحوية، أو التلازم بين المفردات حتى تكون جملة صحيحة.

كما أن في توارد الألفاظ وربطها مع بعضها دلاليًا من التجوز ما لا يكون في القاعدة النحوية، حيث يقع الإنهاك أو الانكسار المعجمي بين الألفاظ فيصبح الربط لعلاقة أو مناسبة مجازية أو غير مجازية، فتبين هذه الدراسة العلاقة المجازية وغير المجازية.

وقد تضمن البحث مقدمة ومبحثين: تحدثت في المبحث الأول عن التوارد بين المفردات، وفي المبحث الثاني: تحدث البحث عن الاقتران بين المفردات، وعلاقات الاقتران، ثم الخاتمة والفهارس.

وحرص البحث على إيراد الشاهد الشعري من بعض قصائد المتنبي للتمثيل والإيضاح؛ لعدد من المواضع التي اقتضتها الدراسة، دون الاستقصاء والتتبع التحليلي الدقيق؛ ذلك أن الدراسة تقوم على بيان العلاقات الرابطة بين المفردات عند توارودها في نص واحد، وحتى تقدم الدراسة نموذجًا للتنوع الدلالي للعلاقات بين المفردات.

أما منهج البحث فقد استخدم البحث المنهج الاستقرائي في تتبعه لإشارات علماء الدلالة، واستخدم المنهج التحليلي عند تناوله للشواهد التي تضمنتها الدراسة.

آمل أن تسلط الدراسة الضوء على خصائص المناسبة بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية التي تبرر سبب اقتران الألفاظ في جملة واحدة، وتحقق نتائج تثري المكتبة البلاغية والنقدية، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

التوارد بين المفردات

تعمل المناسبة على ربط الكلام ونظمه، فتكون أجزاؤه آخذة برقاب بعض، فيقوى الارتباط حتى يصبح البناء محكمًا متلائم الأجزاء، (١) لما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها، فتستخدم حيث تؤدي معناها بدقة فائقة، إذ الكلمة لا تستطيع توفية المعنى الذي وفت به أختها؛ لما للفظة من وظيفة تؤدي معناها، وتناسب ألفاظها.

وقد بين علماء اللغة والبلاغة أن الألفاظ لا تتساوى في دلالتها، فلكل لفظ معناه الخاص، أو معانيه الدلالية المتشعبة، فإذا ما ورد في سياق ما أدى دلالة واحدة في جملة تامة الأركان، فللفظ مع ما جاوره ملاءمة ومناسبة. يقول الخطابي: "ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص والأشكل به... " (٢).

فإذا ما قرن لفظ مع لفظ آخر حتى كون جملة فإن لهذا الاقتران مصوغ ودلالة تسهم في الجمع بين اللفظين من أجله، مع وجود المناسبة المعجمية بين الألفاظ الواردة معًا في جملة واحدة تقوم على أساسها العلاقات الدلالية "إذ المناسبة المعجمية وجه قرينة التضام؛ لأن نقضها وهو المفارقة دليل على أن الجملة غير مفيدة، ومن ثم كانت غير مقبولة نحويًا، وإن حسن

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن: ١/ ٦٢، للزركشي: محمد بن بهادر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي ، ودار المعارف ، بيروت _لبنان_ ، ط١: ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م .

(٢) انظر: بيان إعجاز القرآن: ٢٩، ت: الخطابي: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر _القاهرة_ط، ٣: ١٩٧٦م.

جرس ألفاظها". [1]

هذا التلاؤم بين الألفاظ إن لم يتم أصبح بين الألفاظ تنافر لا يقبله نظم الجملة، أو لا يربط بين مناسبة التوارد بين الألفاظ، ذلك أن مفردات المعجم تنتظم في دوائر بتوارد بعضها مع بعض، أو بتنافر بعضها مع بعض، وهو معنى قول البلاغيين: إسناد الفعل إلى من هو له أو غير ما هو له، فالمبتدآت والموصوفات وأصحاب الأحوال طوائف يتوارد كل منها مع كلمات دون أخرى لتكون خبرًا عنها ونعتًا لها وحالًا منها[2].

من خلال ما سبق يمكن أن نلخص الأمر في: مناسبة الإسناد ومسوغاته، والمعنى الجامع بين الألفاظ، وسبب تآلفها؛ ذلك أن الجمع بين المفردات مرحلة قبل الصحة النحوية، أو التلازم بين المفردات حتى تكون جملة صحيحة، سليمة من عيوب الفصاحة والبلاغة، سالمة من فساد المعنى، ذلك أن في توارد الألفاظ وربطها مع بعضها دلاليًا من التجوز ما لا يكون في القاعدة النحوية، حيث يقع الإنهاك أو الانكسار المعجمي بين الألفاظ فيصبح الربط لعلاقة أو مناسبة مجازية أو غير مجازية، يقول الدكتور جودة مبروك: " إن التلازم: تصاحب تركيبي يؤدي معنى تامًا بواسطة الوحدات النحوية التي تمثل أجزاء الجملة العربية...، ولا يكون مجرد قياس تكرار لفظين أو أكثر، ولا يقف على إعطاء دلالة ما خارج نطاق المعهود عما تطرحه كل كلمة منفردة". [3]

هذه المناسبة التواردية المعجمية عدها البلاغيون والنحاة من شروط صحة الكلام وفصاحته،

(١) البيان في روائع القرآن: ٢/ ١٢١، تمام حسان، عالم الكتب، مصر _القاهرة_ط١: ١٤١٣هـ.

(٢) انظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان: ١/ ٩٠.

(٣) انظر: اللسانيات المعاصرة في ضوء نظرية التواصل، نور الدين رايص، عالم الكتب الحديث، ط١: ٢٠١٤م: ١٢٧.

وهي تختلف عن المناسبة الترابطية التي تصوغ مجيء الألفاظ في جملة متسقة مع سياقها الذي وضعت فيه، بأن تضع الكلام الموضع الذي يقتضيه علم النحو، أو مطابقة الكلام لمقتضى الحال بعد فصاحته، أي: المستوى النحوي والمستوى الدلالي، فإذا تواردت الألفاظ، وجدت المناسبة بينها، وصح نظمها على قواعد النحو، كانت الجملة فصيحة بليغة.(١)

وإذا وردت لفظة مخالفة لنظم سياقها المعجمي، انتظم في جملة صحيحة نحويًا ودلاليًا، فإن مستوى الكلام يمكن أن ينتقل من الحقيقة إلى المجاز أو غيره لعلاقة ما، أما إذا خالفت الدلالة المقبولة أو المؤولة فإنها تخالف الصحة النحوية أيضًا، فهما مرتبطان ارتباطًا حتميًا.(٢)

وقد وصف قدامة بن جعفر(٣) وابن أبي الإصبع(٤) هذه المناسبة بالملاءمة والمناسبة المعنوية

(١) انظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني: عبد القاهر بن عبدالرحمن، علق عليه: محمود محمد شاكر، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة_ مصر_، ط ٥: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م: ٣٦، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير: نصر الله بن محمد، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة(د_ت): ١/ ٦٧، ومنهج السياق في فهم النص، عبدالرحمن بو درع، كتاب الأمة، دورية وزارة شؤون الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م: ٣٧

(٢) انظر: النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، محمد حماسة عبداللطيف، دار الشروق، مصر_القاهرة_ط١: ١٤٢٠هـ: ٨٥.

(٣) انظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر: ٥٤، نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، مطبعة اب١ وائب، القسطنطينية_ تركيا_، ط ١: ١٣٠٢هـ.

(٤) انظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، لابن أبي الأصبع العدواني: ٣٦٣، عبدالعظيم بن عبدالواحد، تحقيق: حفني محمد شرف، المجلس الأعلى لإحياء التراث الإسلامي، عمان_الأردن_: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

التي تكون بين مفردات الألفاظ حتى يشتد تلاحمها، وتتعانق معانيها، إذ تكون بين المتواردات والمتجاورات، قال تعالى: {وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩}[سورة الحجرات: ٩].

حيث جمعت الآية بين العدل والقسط، وفي ظاهرها الترادف إلا أن العدل أعم وأشمل من القسط، إذ القسط يكون بإزاء الظلم والجور، أما العدل فيكون في الظاهر والخفي أو ما يظن أنه جورًا، وحيفًا واعتداء، وهو نقيض الجور، ويكون بإعطاء كل ذي حق حقه حتى لو ظن أنه جورًا، فالعدل يشمل الإنصاف في الأمور كلها سواء وقع الظلم أوالجور، أم لم يقع، والقسط يكون بإزالة الظلم بين المتخاصمين عدلًا ظاهرًا بينًا.

لذا فإن المعاني الدقيقة بين المفردات تساهم في إظهار بلاغة الأسلوب وجمال مؤداه، وحسن انتقاء ألفاظه كما هو ظاهر بين القسط والعدل.

أما المناسبة المعنوية والتواردية بين اللفظين المسوغة للتجاور، هي أنهما ينتميان إلى جذر واحد، وهو الإنصاف وإن اختلفت مادتها، ومعناها الدقيقة، هذا من جهة المعنى الدلالي العام للألفاظ.(١)

فإذا حدقت النظر وتأملت في الآية، وتدبرت دلالتها، وجدت أن لفظ العدل اقترن بالإصلاح بين الفئتين المقتتلة بعد أن تفيئ الباغية إلى الصلح، فيكون العدل بالتصالح والتراضي والإنصاف، وأن لا يضر بإحدى الطائفتين؛ لما يقع في الصلح كثيرًا من تفاوت المتنازل عنه،

(١) انظر: الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة_مصر_: (د_ت): ٩٨-٩٩

والمعطى لكل فئة، فلا يضيع بصورة الصلح منافع وحقوق عن الفريقين إلا بقدر ما تقتضيه حقيقة الصلح وإن كان في ظاهره جور على أحدهما؛ لذا كان العدل في الآية عدلًا خاصًا، والقسط الذي جاء بعد لفظ العدل، أمرًا عامًا تذييلًا للأمر بالعدل الخاص بالصلح، وفيه دلالة على إزالة الظلم عن الفئة التي بغى عليها، وإعادة حقوقها مع مراعاه عدم الإجحاف في أمر الفئة الباغية وترغيبها إلى أخوة الإسلام لئلا يعود التنكر بينهما.(١)

والاقتراض في الآية بين العدل والقسط غاية في البلاغة وحسن النظم، والمناسبة بينهما ذكر العام (أقسطوا) بعد الخاص (العدل) إذ صير النظم العام خاصًا بتقييده بالصلح، والخاص عامًا بإطلاقه ومجيئه على صيغة فعل الأمر.

هذه المناسبة بين المتجاورات معلومة ومبثوثة في كتب اللغة، وقد ألمح لها عدد من علماء السلف والخلف، إلا أن الجديد في الموضوع هو إيجاد المناسبة المعنوية والبلاغية بين الألفاظ الواردة في نظم واحد، ببيان خصائص التوارد والاقتران بين المفردات، وذلك بإيجاد المناسبات التالية:

- إيجاد المناسبة الجذرية أو المتنافرة بين الألفاظ الواردة في جملة بليغة.
- ذكر المناسبة الخاصة والبلاغية التي سوغت التلاؤم بين الألفاظ في سياق لغوي.
- الربط بين المناسبة اللفظية والمعنوية، والمناسبة السياقية.
- ذكر التعليل والتأويل المستساغ في مخالفة التوارد بين الألفاظ للمعاني العرفية المعجمية التي تمثل لب البلاغة وجمال أساليبها عن طريق التوارد والاقتران بين الألفاظ المفردة

(١) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية ، تونس: ١٩٨٤م : ٢٦/ ٢٤٢.

في سياق تام بليغ فصيح مطابق لمقتضى الحال.

يقول المتنبي:

على سابح موج المنايا بنحره غداة كأن النبل في صدره وبل[1]

فقد جمع الشاعر بين سابح وموج، وبين وبل ونبل ملاءمة معنوية، إذ استعار لفظ (سابح) للحصان، فلما وصفه بالسباحة عقبه بذكر الموج، ثم لما ذكر النبل ووقعه على الإنسان في الحرب شبهه بالوبل، أي: المطر بشدة من وبلت السماء.[2]

والمتأمل في البيت يجد أن التوارد بين ألفاظه جمع بين عدّة مناسبات معنوية تتسق مع السياق اللغوي، والخيال في نظم الشاعر، ذلك أن الحصان في المعركة ليس بسابح في موج، كما أن المنايا ليست بأمواج بحر.

والرماح في ساحة القتال ليست وبل، إنما جمع الشاعر بين هذه المفردات بمزجه بين المناسبة المعجمية والمخالفة بكسر المعنى المعجمي عن طريق الخيال، إذ جمع بين المجاز والتشبيه في البيت.

والمجاز باستعارة لفظ (سابح) للمشبه (الحصان) وذكر شيء من لوازمه (نحره)، والقرينة المانعة من المعنى الحقيقي (المعجمي) لفظة: (المنايا) على سبيل الاستعارة التصريحية

(١) انظر: شرح ديوان المتنبي للعكبري: عبدالله بن الحسن، ت: مصطفى السقا، دار المعرفة، لبنان بيروت_(د.ط): ٢٠٠٨م: ٣/ ١٨٦.

(٢) انظر: المصدر السابق، والطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى العلوي، المكتبة العصرية، بيروت_لبنان_، ط١: ١٤٢٣هـ: ٣/ ٨١.

التبعية.

كما شبه النبل وصورته في المعركة وإصابته صدور المقاتلين بالمطر الشديد الهاطل بقوة وغزارة.

هذا الكسر للمعنى المعجمي، والمواءمة بين المتنافرات من الألفاظ والمعاني غاية في البلاغة وحسن السبك، إذ يبين قدرة الناظم في المزج بين المعاني، وتظهر ملكته في التأليف بين الألفاظ باستخدام الخيال الخصب الذي يسوغ هذا الربط.

ومخالفة قانون المفردات (المعجمي) يكون على ضربين:

١-أن تكون الجملة صحيحة نحويًا ودلاليًا، وينتقل مستوى الكلام من الحقيقة إلى المجاز.

٢-ألا تكون الجملة معه صحيحة دلاليًا، ومنه لا تصح نحويًا، فالصحة النحوية ليست مجردة، وتستلزم أن تكون ذات دلالة مفيدة[١]، هذان الضربان سماهما تمام حسان: المفارقة التي يكون منها ما يستعصي على التبرير حين تتناقض الكلمة مع الكلمة، كقول قطرب: ((يرقون بالنحو إلى أسفل))، أو حين لا يكون للكلمة مع أختها معنى، ومنها المفارقة القابلة للتبرير أو التأويل، وهي من جميل النظم وحسن السبك، بأن تنشأ بين الكلمات علاقات تبرر تعانق الألفاظ مع بعضها، هذه العلاقات تسوغ تعانق الألفاظ في جملة، وتسوغ مخالفة المناسبة المعجمية بين المفردات، [٢] كقول الشاعر:

(١) انظر: النحو والدلالة، محمد حماسة عبد اللطيف: ٨٥.

(٢) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان. عالم الكتب، القاهرة_مصر_ ط٥: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م: ٢٤٨.

مالي أكتم حبًا قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الأمم[1]

فقوله: (قد برى جسدي) مجاز عن طريق الاستعارة، وذلك مفارقة مبررة، حيث يفعل بالجسد ما يفعل، وهذا اللون من الملاءمة مفارقة لأصل الوضع المعجمي الذي سيقت اللغة من أجله، إنما سوغ مجيء هذا التضام علاقة المشابهة في النص، ويكون بالبحث عن علاقة المشابهة بالتأمل في هذا التعانق النصي، ومحاولة تأويل مناسبة التضام بينها، فعبارة (برى جسدي) استعارة مكنية، حيث شبه الشاعر الحب بآلة حادة تبري الجسد وتصيبه بالهزل والنحالة، وحذف المشبه به واستعار لفظ (برى) للمشبه، وذكر شيء من لوازم المشبه به المحذوف وهو (برى)، والقرينة المانعة من المعنى المعجمي (جسدي)، إذ الجسد لا يُبْرى.

من خلال ما تقدم يتضح أن التوارد بين المفردات يتطلب مناسبة تبرر سبب التلاؤم بين الألفاظ، هذه المناسبة منها ما يكون جليًا وواضحًا وموافقًا للمعنى المعجمي الأول للفظ، ومنها ما يحتاج إلى عدّة مبررات تفسر سبب إيراد لفظة مع أخرى، والجمع بين المفردات التي أنشأها الناظم أو المؤلف، مما يتطلب إعمال ذهن وتفكير وتأمل.

وكلما كانت المفارقة أكثر عمقًا وألطف نظمًا كانت أبلغ عبارة، وأعمق خيالًا وأوقع معنى في نفس المتلقي، [2] وهو ما ينشده الأديب الحصيف، والناظم المبدع، وبه يتفاضل الأدباء فيما بينهم، وتتفاضل الأساليب فيما بينها.

أما دور الناقد في تمثيل هذه الأساليب: هو بيان العلاقات المشتركة بين هذه الجمل عند دراسة

(١) انظر: شرح ديوان المتنبي للعكبري: ٣/ ٣٦٣.

(٢) انظر: الكلمة دراسة لغوية معجمية: ٢١٢، حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر – الإسكندرية-: ١٩٨٠م.

السياق المعجمي، ثم المناسبة المعجمية والدلالة المنتجة عند تلاحم المفردات، ثم بيان مناسبة الاقتران بين المفردات، ثم علاقات التوارد فيما بينها، ثم ربط ذلك كله بسياق الجملة والجمل دلاليًا ومعنويًا وتفسيريًا. يقول محمد عبداللطيف حماسة: (إن الجانب الدلالي في الجملة النحوية واسع متعدد الروافد، يتدرج أحيانًا من الاعتماد على المفهوم المتعارف عليه سلفًا بين أبناء البيئة اللغوية للفظة إلى استغلال التفاعل بين المفرد والوظيفة النحوية، وإنشاء علاقات جديدة لم تكن معروفة من قبل". (١).

وقد كثر هذا اللون من المزج بين المفردات ومخالفة المعنى المعجمي الأول بطرائقه المختلفة عند علماء البلاغة، أي: علوم البلاغة بشتى ألوانها، كما وزعت على أصناف مختلفة، وبعضها درس دراسة عميقة إلى حدٍّ ما مثل الاستعارة التي ظهر فيها ما تحدث عنه هذا البحث جليًا في تحليلها لمكونات الاستعارة تحليلًا دقيقًا، وبيان العلاقة بين المعنى المستعار والمستعار منه والمستعار له، وذكر سبب التوارد وغرضه، وقرائن المعنى المجازي وموانع المعنى الحقيقي. (٢)

كما درس هذا اللون من الملاءمة بين المفردات في مواضع أخرى غير المجاز، وخصوصًا في المحسنات المعنوية، إلا أن الإجراء الدلالي لم يكن عميقًا كما كان في الاستعارة وألوانها.

هذا البيان الدقيق الذي تحدث عنه علماء البلاغة في الاستعارة يمثل العلاقات الدلالية المختلفة التي ذكرتها في الصفحات السابقة من هذا البحث، ففي البيت السابق عند قول الشاعر: "ومن بجسمي وحالي عنده سقم" انكسار للدلالة المعجمية، ومناسبة دقيقة بليغة

(١) انظر: النحو وعلم الدلالة: ٥٩.

(٢) انظر: دلائل الإعجاز: ٥٥، والمناسبة في القرآن دراسة لغوية أسلوبية للعلاقات بين اللفظ والسياق اللغوي: ٢١، مصطفى شعبان عبد الحميد، مكتبة المدينة، القاهرة، مصر، ط١: ٢٠٠٧م.

بين المناسبة المعنوية واللفظية والسياقية، ذلك أن السقم يكون بمرض الجسم بعد الصحة، أما الحال فإنها تقوى وتضعف، أو تغنى وتفقر، فلما جاءت الحال مصاحبة للجسم في تعبير الشاعر عبر عنها بالسقم كناية عن تبدل الحال وضعفه.

والعلاقة المسوغة لذلك هي المجاورة: بمجاورة اللفظ للفظ آخر، جاء السقم لتأدية معناه ووصف حال الجسم، وعلاقة الكناية بكناية عن تبدل الحال من القوة إلى الضعف، ومناسبة سياق البيت الذي سوغ التوارد بين الألفاظ، وسوغ المخالفة للمعنى المعجمي، كما أن السقم يضعف الجسم ويمرضه وتتبدل ملامحه فكذلك الحال تتبدل وتضعف، لذا فإن المعنى الحادث قريب ومشابه للمعنى الأول في شأن الحال.

قال المتنبي:

إن كان يجمعنا حبٌّ لغرته فليت أنا بقدر الحب نقتسم [1]

فقوله الشاعر: (حبٌّ لغرته) أي: حب لسيف الدولة، والغرة: بياض في الجبهة مأخوذ من غُرَّة الفرس، أي: بياض في ناصيته، وكانت العرب تذكر هذا الموضع للدلالة على التقدير والإجلال. [2]

والتوارد في البيت عند إسناد الحب للغرة والمقصود بها: سيف الدولة على سبيل المجاز المرسل الذي كسر المعنى المعجمي عن طريق الإسناد، وعلاقته الجزئية بذكر الجزء وإرادة الكل؛ لأن الجزء أشرف وأعز مكانًا عند الإنسان، وبه يضرب المثل في العزة والشرف، والجامع بين العلاقتين الأولى للفظة ومناسبة التوارد هي: الكناية عن مكان المحبوب وشرفه

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري: ٣/ ٣٦٤.

(٢) المصدر السابق.

عند الشاعر، فجمع بين المعاني التي يحتملها اللفظ في قوله: "غرته"، مع مراد الشاعر في البيت.

من شواهده: قال تعالى: " {وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤}[سورة آل عمران: ٥٤] فتشابه اللفظان (مكروا ومكر الله)، والمكر: في معناه الأول: المخادعة والاستدراج والاحتيال. (١)

وفي المكر الأول: سعيهم في قتله حيث دبروا لقتل عيسى _عليه السلام_، وذلك أن عيسى بعد إخراج قومه إياه وأمه من بينهم عاد إليهم مع الحواريين، وصاح فيهم بالدعوة، فهموا بقتله وتواطؤوا على الفتك به، أما المكر من الله: فهو الاستدراج لهم، والمجازاة، فقد ألقى الشبه على أحد الحواريين حتى ضنوه عيسى _عليه السلام_ ورفعه الله إليه، كما أن الله يستدرج العبد حتى يأخذه بغتة، وهو ما حل ببني إسرائيل بعد ذلك.

فالمكر الأول والثاني وردت في السياق بمعنييهما: حيث حمل الأول جزء من الدلالة المعجمية، وحمل الثاني معنى الدلالة المعجمية الأولى مع دلالة الملازمة والتوارد في الآية، كل هذه المعاني انتظمت في المعنى السياقي الدلالي لنظم الآية.

وقال المتنبي:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم(٢)

في البيت تلاءم (الخيل والليل والبيداء) في سياق واحد، ونسب البيت إلى غير معادلها الدلالي

(١) انظر: تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري : ٢ / ١٣٢، تحقيق: إبراهيم الإبياري. دار الكتاب العربي ، القاهرة_مصر_: ١٩٦٧م.

(٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري: ٣/ ٣٦٩.

(تعرفني)، إذ الليل والبيداء لا تعرف الأشخاص، ففيه كسر بليغ للمعنى المعجمي على سبيل المجاز والاستعارة، وعلاقتهما المشابهة، في أن الخيل والليل والبيداء تعرفني كما يعرف الإنسان بشجاعته وفروسيته، وبين الخيل والليل والبيداء مناسبة تلازمية تصويرية: فالخيل وسيلة النقل التي تركب ويغزى ويسافر عليها، والليل زمن بعد مغيب الشمس، والبيداء المكان الرحب الذي تسير عليه القوافل، وتخاض فيها المعارك، والصورة المشتركة أن الشاعر يمدح نفسه ويفخر بها حيث أن لفروسيته وشجاعته وكثرة خوضه للمعارك والمغازي تعرفه الخيل والليل والبيداء، وهو ربط منطقي تناسبي.(١)

كما أن بين الخيل والليل جناس ناقص أدى المعنى وأفاد الجرس الموسيقي الترتيبي، ولا يقف الأمر عند ذلك بل إن الشاعر جمع بين: (السيف والرمح) و(القرطاس والقلم) مناسبة على سبيل مراعاة النظير، فالسيف والرمح مما يكونان في المعارك والقتال، وهما مناسبان لفخر الشاعر وثناؤه على نفسه، والقرطاس والقلم، أي: الأوراق والأقلام تعرفه لما له من شأن عظيم وأدب ذائع الصيت، ولكثرة تدوين اسمه على القراطيس، أو أنه كاتب وأديب بارع، وكل هذه العلاقات الجزئية بين مفردات البيت تضمها مناسبة معنوية قصد منها الفخر والاعتداد بالنفس، وجاءت عن طريق كسر المعنى المعجمي إلى المجازي على سبيل الاستعارة وعلاقته المشابهة.

والمتأمل في هذه العلاقات في البيت يجدها تتلخص في:

١-المعاني المعجمية بين المفردات التي امتزجت مع المناسبة الحادثة للمعنى.

(١) انظر: شرح ديوان المتنبي لعلي بن أحمد الواحدي، ت: ياسين الأيوبي، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان: ١/ ٢٤٣.

٢-علاقة المشابهة والمعنى المجازي.

٣-التناظر بين المفردات بالجمع بين الأمور المقترنة والموافقة للتناسب التتابعي (مراعاة النظير).

٤-المعنى العام للبيت والذي قصد به الفخر.[١]

في هذه الدراسة سأبين خصائص وجماليات التلاؤم بين الألفاظ المفردة الواردة والمقترنة مع بعضها في سياق واحد بسيط، وهو ما أود التنبيه عليه وإظهاره مستثنيًا ما جرت عليه العادة عند أكثر من نظم في المناسبة بين الألفاظ بلاغيًا كاصطفاء الكلمة واختيارها وهيئة الكلمة وبنية الكلمة في سياقها، وصوت الكلمة ورموزها وغيرها من التحليلات الرائقة والماتعة، ذلك أن تناول المناسبة الأولى للتوارد بين المقترنات من الألفاظ المفردة هي ذات قدر بالغ من الأهمية في طريق دراسة المناسبة بين المنظومات في سياقها اللغوي الجزئي الدقيق، والذي لا ينظر إلى مساقات الكلام في مواضع أخرى من الجنس الأدبي أو الأجناس الأدبية المختلفة،[٢] هذه المرحلة تعد ذات أهمية للمنشئ والمتلقي معًا.

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري: ٣/ ٣٧٠.

(٢) انظر: الكلمة دراسة لغوية معجمية: ٢١٢، حلمي خليل.

المبحث الثاني

الاقـــتران بين المفــردات:

ويقصد به: " مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، أو قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة"، (١) حيث تشترك الألفاظ في مجال دلالي معين يجمعها معنى عام تندرج تحته، وهو ما يعرف بالحقل الدلالي(٢).

هذا الباب دقيق المسلك متشعب الألوان والدلائل، له تفريعات عدَّة ونماذج كثيرة، إذ كل مجموعة من الألفاظ في الحقل المعجمي ترتبط بدلالة عامة تنتظم تحتها الألفاظ والمعاني، هذه المجموعات تربطها مجموعة من العلاقات منها: الترادف والاقتران، والكلية والجزئية، والتضاد والتنافر، والمجازية والتشبيه، والنقل بأنواعه، وهو ما سأبين جلَّه في الصفحات القادمة _بإذن الله_ مع بيان درجة العلاقة والمعنى العام، ومناسبة التلازم والاقتران والمواءمة بين المفردات، واقترانها بالمناسبة السياقية للألفاظ.

هذا النوع من الدراسة لا يقل أهمية عن الدراسات التناسبية والدلالية والبلاغية التي درست اللفظة من خلال: اصطفاء الكلمة- صوت الكلمة- صفة اللفظة- هيئة اللفظة- إيراد اللفظ دون مرادفه- أو إيراد اللفظ دون مقاربه في المعنى، أو إيراد اللفظ دون آخر بعيد المعنى، ثم مقارنة ذلك بالألفاظ التي وردت في مساقات مختلفة، وسياقات متعددة حتى يتضح المعنى، وتظهر المقارنة بين الألفاظ، إلا أن هذه الدراسة تظهر العلاقة الكبرى بين الألفاظ المتواردة في نظم واحد، والعلاقة فيما بينهما، ومناسبة الجمع بينها كالجمع بين المتضادين، والجمع

(١) انظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، مصر_القاهرة_ ط٥: ١٩٩٨م: ٧٩.

(٢) انظر: مظاهر المناسبة في النحو العربي، مصطفى شعبان المصري، المكتب الجامعي الحديث، مصر_الإسكندرية_ ط١: ٢٠١٥م: ١٥٣.

بين المترادفين وغيرها.[1]

وقد راعى علماء البلاغة والنحاة من قبلهم الرابط الوثيق بين الألفاظ المقترنة في سياق واحد، وحددوا مناسبة التلازم بين المفردات التي بدورها تتلازم مع سياق الجملة، فتؤدي الغرض من الكلام، وينتظم سباقها ولحاقها في سياق الجملة البسيط.

والتلازم هنا بين المفردات (الاقتران) يكون بين الألفاظ في حقل دلالي واحد، هذا الحقل يمثل: " مجموعة الألفاظ للغة معينة تكون مبنية على مجموعة متسلسلة لمجموعة كلمات، أو (حقول معجمية) كل مجموعة منها تغطي مجالًا محددًا على مستوى المفاهيم (حقول التصورات)، زيادة على ذلك فإن كل حقل من هذه الحقول سواء أكان معجميًا أم تصوريًا فهو متكون من وحدات متجاورة".[2] تدرس في إطار المعنى العام من خلال ما نتج عنها من علاقات صوغت الجمع بين هذه الألفاظ، وما ينتج عن الجمع بينها من تحول أو تبدل أو انتقال على سبيل المجاز بأنواعه، أو الانتقال الدلالي في إطار سياق الجملة ومناسبة الألفاظ للمعاني.

من خال هذا الربط بين المناسبة أو العلاقة التي أوردها علماء الدلالة[3] والمناسبة البلاغية للتوارد بين الألفاظ تظهر بلاغة الأسلوب ومعانيه البلاغية الدقيقة، وخصائصه التناسبية، أو النقل المجازي للألفاظ المفردة، أو المقترنة أو الأساليب المنطقية.

(١) انظر: مظاهر المناسبة في النحو العربي: ١٥٥، مصطفى شعبان.

(٢) انظر: علم الدلالة، كلود جرمان وريون لويكون، ت: نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا_ بنغازي_ ط١: ١٩٩٧م: ٥٤.

(٣) انظر: علم الدلالة: أحمد عمر مختار: ٨٨، وعلم الدلالة، كلود جرمان، وريمون لويلون: ٥٤، وغيرهم.

لذا فإن الاقتران في هذه المبحث سيقتصر على المعنى الدلالي عند علماء الدلالة من اقتران الألفاظ في حقل دلالي واحد من الحقول المعجمية، ثم تلمس العلاقة بين المقترنات من المفردات، وهي علاقات معجمية وعلاقات تواردية، وعلاقات تناسبية منتظمة في جملة صحيحة نحوية.

والحق أن كثرًا من هذه العلاقات المباشرة أو المؤولة مبثوثة في كتب البلاغة وفي مواضع متعددة لا يجمعها نظام عام أو تسلسل معنوي في إطار واحد، أو أن هذه العلاقات أو الفنون كما يسميها البلاغيون المناسبة الجامعة بين المعنى المعجمي والمعنى الحادث عند التلاؤم والإجراء البلاغي المسوغ للربط بين المفردات إلا ما كان من الإجراء الدقيق والتحليل البليغ للاستعارة، وما يكون في نظمها من نقل مجازي ماتع في كتب البلاغة.(١)

هذا المبحث ينطلق من منطلقين رئيسين: المعنى العام الجامع بين المقترنات، الذي يفسر سبب الإيراد، والمناسبة البلاغية الحادثة من خلال تلاؤم المفردات، والتي أحدثت تلازم الألفاظ في جملة صحيحة نحويًا، ومن خلالها يعرف الغرض البلاغي، والأسلوب الأبلغ للكلام.

من هذه العلاقات: التضاد- التضمين- الاشتمال- الكل والجزء- الترادف- التنافر- النقل المجازي للمفردات- العموم والخصوص- التواطؤ- الاتباع- التأكيد وغيرها من العلاقات.

١-**علاقة التضـــاد:** وهي ما يعرف في علم البلاغة بالمطابقة أو التضاد والمقابلة، حيث يكون

(١) انظر: مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب السكاكي ، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ : ١٤٠٧هـ: ٣٦٩، والإيضاح للخطيب القزويني ، عبدالمنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت _لبنان_ط٣: (د_ت): ١/ ٩٨، والمثل السائر: ٢/ ٥٨ .

بين معنيين تضاد أو مقابلة[1] إلا أن هذا التضاد أو المطابقة تكون بين معنيين نظمت في جملة واحدة، والغرض منها التضاد أو التكافؤ أو المقابلة، هذا الجمع بين المعنيين يستلزم إدراك المناسبة بين اللفظين أو المعنيين، والعلاقة المسوغة للجمع بين المتضادين، ودرجات المطابقة، وأصل هذا التطابق من ناحية الأصل أو النقل، أو الغرض منه الجمع بين الشيء وضده.[2]

وقد درجت التحليلات البلاغية للمطابقة بذكر المطابقة بين لفظين تكون من اسمين أو فعلين أو حرفين، ويكون المطابق من ناحية المعنى كذلك دون الألفاظ، والتي يفرضها سياق الجملة.[3]

والمتأمل في كتب البلاغة وحديثها عن التضاد يرى أن جلَّ من تحدث عن هذا اللون من فنون البديع يقصره على عدَّة أمور:

- طباق ظاهر وطباق خفي.
- طباق إيجاب وطباق سلب.
- طباق حقيقي ومجازي.[4]

والطباق أو التضاد بين المفردات يسلتزم أكثر من ذلك، وهو الحديث عن المناسبة في الجمع بين الضدين، أو غير الضدين مما ورد مورد الضد، كما يستلزم الحديث عن درجة التضاد،

(١) انظر: الطراز: ٣/ ١٩٨، والإيضاح: ٤/ ٥٨٦.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: الإيضاح: ٤/ ٥٧٢.

(٤) انظر: المثل السائر: ٣/ ١٤٥.

والعلاقة الجامعة بين الضدين.

قال المتنبي في وصف الحمى:

تمتع من سهاد أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام[1]

فالتضاد في البيت وقع بين السهاد والرقاد على سبيل المطابقة بين معنيين متضادين في أصلهما اللغوي، إذ السهاد نقيض الرقاد. [2] فتقول سهد يسهد سهادًا: لم ينم أو قل نومه، أما الرقاد فهو الهجعة بالليل، أو النوم العميق، وكل من السهاد والرقاد مع تضادهما فإنهما يعودان إلى جذر واحد، [3] ومن صفات الروح البشرية حركة الروح، فكان الوصف بالجمع بين الضدين السهاد والرقاد، لأنهما يعودان إلى أصل واحد وهو حركة الروح أو صفاتها.

أما سبب الجمع بين الصفتين فإن الشاعر أراد أن يحث المرء على التمتع بجميع تفاصيل الحياة حتى وإن كانت مؤلمة، فهو يحث على الاستمتاع باليقظة وإن كانت سهادًا، فبعد الموت لا ترج النوم في القبر، فالقبر دار حساب ومحاسبة.[4]

وقد انتقى الشاعر لفظتي السهاد والرقاد لتناسبها مع مراده في التضاد اللفظي في الشطر الأول، والتضاد المعنوي في الشطر الثاني، حيث أن السهاد عدم النوم من الأرق المضني، أو النوم المتقطع، والرقاد من النوم العميق، والمكوث في المكان فترة طويلة، وبما أن الموت هو النومة الكبرى التي يكون بعدها صحوة القبر، وصحوة البعث، وصحوة القبر حياة البرزخ وما فيها

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري: ٤/ ١٤٩.

(٢) انظر: لسان العرب ، ، لابن منظور ، دار صادر _بيروت_لبنان_ ، ط١ : ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م ، مادة سهد.

(٣) انظر: تهذيب اللغة، مادة: رقد.

(٤) انظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي: ٣٣٧.

من ثواب وعقاب.

قال المتنبي أيضًا:

وما موت بأبغض من حيوة أرى لهم معي فيها نصيبًا[1]

فالتقابل بين (موت وحيوة) وهو تقابل من الدرجة الأولى الذي ليس بينه تدرج، أي: التضاد المتباين الحاد في المعنى، إذ الموت يقتضي انتفاء الحياة، وخروج الروح، وهو طباق معنوي بين لفظين، وهما يعودان إلى جذر واحد، وروح الجسد التي تكون في الجسد، فإذا خرجت مات، وإذا حضرت يحيى الجسد، فالمناسبة المعجمية جمعت بين اللفظين المتضادين لكونهما صفة لشيء واحد.

أما الشاعر في هذا البيت فقد جمع بينهما للتضاد الحاصل بينهما في أصل اللغة، ولمناسبة اقتضاها معنى البيت الشعري الذي يقصده الشاعر، حيث يرى أن الموت ومفارقة الحياة التي يبغضها أكثر الناس ليس بأشد بغضًا من الحياة التي يشاركني فيها أعدائي؛ إذ الموت ليس ينفي عني رؤية الأعداء، وغصة العيش برؤيتهم، فقصد بذلك أن الموت المقابل للحياة ليس بأشد تنغيصًا من حياة أشقى بها في لقاء أعدائي.

والموت والحياة بتضادهما لم يؤديا المعنى الذي قصده الشاعر بمعناه المعجمي فقط، بل مزجا بين المعنى المعجمي والسياقي، وتوارد الألفاظ المصاحبة لهما، والمؤدية لمراد القائل، ولما حصل هذا الامتزاج كان اللفظ أبلغ من غيره مما قد يؤديه بعض معناه: كالبعد أو النفي أو الغربة وغيرها، ذلك أن المقام يقتضي الشيء وضده مع كونهما غير محببين إلى

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري: ١/ ١٣٧.

النفس.

ومن شواهده قول الشاعر:

لقد أحيا المكارم بعد موت وشاد بناءها بعد انهدام [1]

فكما بينت في الشاهد السابق التضاد بين (الحياة والموت) بمعناه المعجمي، وأنهما يرجعان إلى صفة من صفات الروح، وهي المسوغ للجمع بين الضدين رغم تنافر الأضداد، إلا أن الحياة والموت هنا في البيت هي موت مجازي، أي: موت المكارم كناية عن انعدامها، وحياة المكارم وإحياءها وبعثها، والمكارم تختفي ولا تموت، ولكن المجاز اللغوي للبيت سوغ إسناد الحياة للمكارم بعد بعثها ونشرها، وإسناد الموت للمكارم إذا انعدمت أو خفتت، فكان المسوغ للإسناد بلاغة الحال والتجديد في المقال، وما توحيه كلمة إحياء وإماتة من دلالة أكثر تكثيفًا من غيرها، وأبلغ في أداء المعنى. [2]

ومن التضاد ما يكون متدرجًا أو نسبيًا يمكن أن يقع بين نهايتين لمعيار متدرج، أي: بين متضادين من نوع ثالث ينتج عنهما، ويكون محتملًا كطويل وقصير وغني وفقير إذا كان التضاد نسبي، حيث أن بين الطويل والقصير متوسط الطول، أو متوسط مائل إلى الطول، أو مائل إلى القصر، ويكون خاضعًا للعرف المعجمي في تحديد الطول والقصر، وكذلك الأمر في فقير وغني، إذ بينهما متوسط الغنى والفقر. [3]

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري: ٤/ ١٥٨.

(٢) انظر: مدخل إلى علم اللغة، ناصر الهذيلي، مكتبة المتنبي، المملكة العربية السعودية _الدمام_ط١: ١٤٣٨هـ: ٧٥.

(٣) انظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي: ١/ ١٥٠.

ومن خصائص هذا النوع من التضاد أن المفاضلة بين الضدين تكون ب(أفضل)، كما أن أحد الضدين لا يتضمن الآخر بالضرورة، أي: لا ينطبق عليه أحدهما، إذ بينهما وسط، فإذا كان الغنى غير فقير؛ فإن غير الغني ليس بالفقير ضرورة، وبينهما منطقة وسط، فغير البارد ليس حار، وقد يكون دافئ مائل إلى الحرارة أو دافئ مائل إلى البرودة، هذه الخصائص لا تتوفر في النوع الأول من التقابل بين الأضداد، وهي ذات دلالة بلاغية واسعة.

قال الشاعر:

وطعن كأن الطعن لا طعن عنده وضرب كأن النار من حره برد[1]

فالتضاد بين (حره- وبرد) تضاد تقابلي متدرج بين الحرارة والبرودة، وهو يعود إلى جذر عام يتعلق بالإحساس، أو الشعور الذي من أحاسيسه الحرارة والبرودة، أو الحزن والسعادة، والفرح والسرور، وغيرها، فالرابط الأول بين اللفظين والمسوغ لتواردهما في معرض واحد هو الإحساس أو الشعور، فكان التقابل بين اللفظين من جذر واحد[2].

والرابط الثاني: التشبيه المترتب على جعل الضرب الحاصل من السيف شديد الحرارة، إلا أن ناره برد على ممدوحه، فكانت العلاقة بين المتضادين حرارة النار والبرد لا شيء فيها بالنسبة لحرارة ضربه وقوته، وهو من إيهام التضاد الذي يكون بالجمع بين المتضادين في الحقيقة، وجعلها لما ليس بينهما تضاد، حيث أن المعنى الحقيقي يكون بأن ضربه أشد حرارة من حر النار، وهو من باب التفضيل. [3]

(١) انظر: شرح ديوان المتنبي للعكبري: ٣/ ١٣٣.

(٢) انظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي: ١٥٠.

(٣) انظر: شرح البرقوقي، عبدالرحمن البرقوقي، مؤسسة هنداوي، مصر _القاهرة_: ٢٠١٢م: ٢/ ٥٠٢.

- الثاني: علاقة المبالغة التي قصدها الشاعر في جعل ضرب ممدوحه في المعارك وطعنه لا يوجد طعن يوازيه، وحرُّ ضربه لا حر يساويه في شدة حرارته، وطعن سيوف أعدائه ليس بطعن، وحرِّ سيوف أعدائه برد عنده.

من شواهده قول المتنبي:

ثقال إذا لا قوا خفاف إذا دعوا كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا [1]

جاء التطابق بين لفظ (ثقال وخفاف وكثير وقليل) وهو طباق تضاد وتقابل في المعنى المعجمي، والمعنى الذي استخدمه الشاعر في تعبيره، حيث استنتج من المعنى المعجمي الأول جذر التضاد ومسوغه، ثم تطوعها لنظمه التعبيري، حيث أن الثقل والخفة تكون في الموزون من الأشياء والكثرة والقلة تكون في المعدودات.

ثم إن الخفة مضادة للثقل، والكثرة ضد القلة، إلا أن تضادهما غير متدرج، حيث نفي أحدهما لا يعني إثبات الآخر؛ لأن معيار الخفة والثقل والكثرة والقلة نسبي، ولجواز مجيء الضد أيضًا متوسطًا بينهما إلى أحدهما.

فكان التضاد الجذر اللغوي الأول مسوغ لانتقاء الشاعر للألفاظ، ومجيئها غير متنافرة.

أما في نظم البيت فإن الشاعر أحال دلالة التضاد الأولى من كونها بين الموزونات والمعدودات إلى كون هذه المتضادات من صفات ممدوحة، إذ هم ثقال؛ لشدة وطأتهم على الأعداء، وثباتهم عند الملاقاة، وخفاف عند إجابة داعي الجهاد، وهم ذا بأس شديد حتى

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري: ٤/ ١٤٣.

يحسبهم العدو أنهم كثير؛ لشدة بأسهم، وهم قلَّة إذا عدوا.(١)

لذا جمع الشاعر ثلاث علاقات تناسبية بين المفردات المتضادة:

الأولى: التضاد المعجمي في أصل اللغة، إذ المتضادات من جذر واحد.

الثاني: علاقة إيهام التضاد في نسبة الثقل للمقاتل للدلالة على ثباته، والخفة دلالة على سرعة الإجابة، والكثرة دلالة على الشدة مع قلتهم.

الثالثة: العلاقة الكنائية التي تحمل معنيين للفظ مع إرادة المعنى الثاني.(٢) أي: المعنى الكنائي فالثقل يدل على ثقل الأبدان، وثقل بمعنى الثبات، أو ثقلهم على أعدائهم، والخفة تدل على خفة الأبدان، وتدل على سرعة الاستجابة، والنفير عند داعي الجهاد، والكثرة تدل على كثرة العدد، وتدل على القوة والبأس حتى يبدوا وكأنهم كثرة مع قلَّة عددهم.(٣)

كما دلَّ على بلاغة الانتقاء وفصاحته في اختيار نوع التضاد، حيث جمع بين متضادين يمكن الجمع بينهما في شيء واحد مع تضادهم، إذ تضادهما ليس حادًا كما بين لفظي: حياة وموت، أو ذكر وأنثى.

كما أن النقل المجازي للفظ، أو النقل الكنائي للألفاظ كان من مسوغات الإيراد بين الألفاظ المتضادة عن طريق القرينة المصاحبة التي منعت إرادة المعنى المجرد للفظة، هذه القرينة هي: سياق المدح، ولفظة: إذا لاقوا، وإذا دعوا، وإذا شدوا، وإذا عدوا، فهي بمثابة الاستثناء

(١) انظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي: ١٥٠.

(٢) انظر: مفتاح العلوم: ١/ ٤٠٢.

(٣) انظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي: ١٥٠.

عن إيراد المعنى الأول للمتضادات. [١]

٢-علاقــة الترادف:

هي دلالة أكثر من لفظة على معنى واحد، وقد اهتم به علماء الدلالة، وأولوه جلَّ اهتمامهم،[٢]حيث قسم التَّرادف إلى قسمين:

أ- ترادف تام: تتحد فيه الدلالات اتحادًا تامًا في الدلالة المركزية والهامشية مع القابلية للتبادل في كل سياق. [٣]

ب- شبه الترادف: بأن يتقارب اللفظان تقاربًا شديدًا، حيث تشابه الألفاظ المترادفة في دلالتها المركزية والهامشية، ولا تقبل التبادل في السياقات المختلفة. [٤]

قال الشاعر:

ومن يبغ ما أبغي من المجد والعلا تساوى المحايي عنده والمقاتل[٥]

(١) توجد عدد من المتضادات بين المفردات أفرد لها علماء الدلالة عّة علاقات تناسبية تجمع بينها، وكان من أبرزها: التضاد المتعدد والتضاد العكسي والتضاد الاتجاهي، والأفقي والعمودي والمشترك اللفظي التضادي وغيرها من علاقات التضاد بين المفردات، ذكرت منها في الأمثلة السابقة ما في إتحاد لعلاقات التطابق بين المتضادين من المفردات في جملة واحدة، ولعلي أفرد لها بحثًا خاصًا يلم جلَّ صورها ويقرن بينها وبين بلاغة المتواردات.

(٢) في علم الدلالة: عبدالكريم محمد حسين: ٣٦.

(٣) المصدر السابق، ومدخل إلى علم الدلالة: ٦١ ناصر الهذيلي.

(٤) في علم الدلالة عبدالكريم حسن : ٣٦، ومدخل إلى علم الدلالة، ناصر الهذيلي: ٦٣ .

(٥) شرح ديوان المتنبي للعكبري: ٤/ ٢٩٣.

حيث ذكر الشاعر أن من يطلب الشرف والرفعة تساوت عنده المخاوف والمهالك، ووطن نفسه على ذلك.

والترادف في لفظة: المجد والعلا، فالمجد: الشرف والرفعة، ومجد الرجل كرم فعاله. والعلو: الرفعة، وعلى في الشرف بمعنى: يعلو علوا.(١)

واللفظان بينهما تقارب في المعنى، وتشابه في الدلالة التي تعود عليها الناس، وإذا أطلق أحدهما على الآخر دلَّ عليه وأدى معناه، وإن اجتمعا أكمل أهدهما معنى الآخر، فالمجد الذي قصده الشاعر هو: المكارم والشرف والمحامد، هذا الشرف متصف بأنه شرف عليٌّ.

ومن يتأمل اللفظين يجدهما متقاربة في المعنى، واقترانهما هنا اقتران تتميم وتكميل للمعاني، حيث أن العلا والمجد في البيت جاءا مؤدية معناها الأول في معجم اللغة، كما أدت معنى البيت، وهو أن المجد والشرف المقصود في البيت ذا رتبة عالية، ومنزلة رفيعة، فالمناسبة مناسبة تتميم، والعلاقة علاقة اقتران في أن هذا المجد الذي يطلبه المرء مجد ذا رفعة ورتبة عالية.

كما أن الألفاظ المترادفة في البيتين لو اقتصر الشاعر على أحدهما دون الآخر لأدت الغرض منها، ولكن الشاعر عبر بهما للتأكيد، ولدلالة على أن المجد الذي يطلبه هو مجد عالي المنزلة.

(١) تهذيب اللغة، مادة: م ج د: ١٠/ ٣٥٩، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري الفارابي، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين لبنان- بيروت- ط٤: ١٤٠٧ هـ، مادة: م ج د: ٢/ ٥٣٦.

وقال المتنبي:

تصفو الحيوة لجاهل أو غافل عما مضى فيها وما يتوقع [1]

فالشاعر شخص كيف تصفو الحياة للمرء، وأن صفاءها يكون بالتجاهل أو التغافل عما مضى من أمر حياته وما يتوقع حدوثه، والجاهل والغافل بينهما شبه ترادف، وهما إذا اجتمعا أدى كل واحد منهما معنى الآخر وزيادة، فالجهل نقيض العلم، ومنه جاهل بحقه، أو جاهل بالمسألة، أي: غير عالم بها، فإذا قيل تجاهل صارت بمعنى تغافل عن الأمر وأبدى عدم علمه به. [2]

أما غافل: فهو من سها يسهو، بمعنى: ترك الأمر سهوًا أو عمدًا، كما تأتي بمعنى عدم العلم بالشيء يفعل من حوله، أو عدم التفطن له[3] فالجهالة أعم من التغافل لحملها معنى (غفل)، وإفراد أحدهما بالذكر يشمل الآخر، وإن لم يؤدِ معناه الدقيق، وإذا اقترنا افترق معناهما.

ذلك أن أمور الحياة لا تصفو لأحد، ولا يذهب كدرها إلا بجهل وتجاهل وغفلة وتغافل عن كثير من شؤونها، فكان اجتماع اللفظين لتتميم المعنى وأداءه بجميع صوره.

والجامع بين المعنيين مضنة أن يفهم أن الجهل بأمور الحياة محمدة، إنما الأمر بأن الجهل بشأن الدنيا ماضيها وحاضرها الذي لا فائدة من معرفته، أو إنه قد ينغص على المرء صفو حياته أمر محمود، وينبغي للمرء العمل به.

٣-**علاقة الاشتمال، أو التضمين**: وهو أن تكون اللفظة متضمنة للفظة أخرى، أو لمعنى آخر،

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري: ٢/ ٢٦٨.

(٢) تهذيب اللغة، مادة: غفل: ٨/ ١٣٢، والصحاح، مادة: غفل: ٥/ ١٧٨٢.

(٣) لسان العرب، مادة: غفل: ١١/ ٤٩٧.

وتواردا معًا، فيكون لفظ عام ولفظ آخر خاص أو العكس.(١)

ولقد تناول البلاغيون الاشتمال في باب الإطناب، وفصلوا الأمر في ذكر الخاص بعد العام والعام بعد الخاص.

قال المتنبي:

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال(٢)

فكرر ذكر الممدوح مرتين الأولى مع الأنام، والثانية بتخصيصه بالذكر (وأنت منهم)، والتخصيص لتمييزه عليهم، وفضله وبروزه عليهم، وهو من باب ذكر الخاص بعد العام، والعلاقة بينها علاقة اشتمال لشمول الأنام ممدوحه.

أما العلاقة المسوغة للجمع بين اللفظين: هي علاقة معجمية، وعلاقة اقتران، وعلاقة خاصة أرادها الشاعر، فالعلاقة المعجمية أن الأنام: ما على الأرض من جميع المخلوقات، (٣) (أنام)والممدوح من ضمن الأنام الذي يدب على الأرض، فذكر خاص بعد عام.

أما علاقة الاقتران فمسوغها ذكر الخاص بعد العام؛ لكونه المقصود بالذكر مع كونه من ضمن الأنام، ولو جاء اللفظ بذكر الأنام فقط لأدى المعنى.(٤)

(١) علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٥٦، وعلم الدلالة، لجون لاينز:٨٥، والتقابلات الدلالية لسعيد أبو خضر، عالم الكتب الحديث، الأردن_ عمان_ط١: ١٤٢٥هـ: ١١.

(٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري: ١/ ٣٨٠.

(٣) انظر: تهذب اللغة، مادة: نام: ١٥/ ٣٦٤.

(٤) انظر: شرح ديوان المتنبي، للواحدي: ١/ ٦٠.

أم العلاقة الخاصة: فهي تكرار ذكر الممدوح للتخصيص من ضمن الأنام، وزيادة المدح له بتكرار ذكر اسمه، ويبين تميزه عليهم وفضله، ويخصصه ويبرز تفوقه عليهم بقوله: أنك فقت الأنام وعلوتهم وأنت من جملتهم، فليس ذلك بعجب، فإن المسك دم ولكن يخالف سائر الدماء ريحًا وطبعًا، وهو من بدائع وصف المتنبي.(١)

ومن أجمل ما وصف المتنبي قوله:

والجود عين وأنت ناظرها والبأس باع وأنت يمناه(٢)

حيث قرن الشاعر بين العين والنظر والباع واليمنى، وهما من الجزء المتفرع عن الكل التي إذا أطلق أحدهما شمل الآخر، ولكن الشاعر جمع بينهما للتخصيص والمبالغة في المدح.

أما العلاقات التي اعتمد عليها الشاعر فهي: العلاقة المعجمية في لفظي العين والنظر، والعلاقة المجازية الاستعارية، والعلاقة التناسبية، فالعلاقة المعجمية: أن النظر والبصر يصدران من العين التي هي الجرم المكون من الدقة والقرنية، وينتج منها النظر الذي أنعم الله به على عباده، ولو أطلق أحدهما لناب عن الآخر مع زيادة في المعنى؛ لشمول كل واحد منهما على معان دقيقة تختلف عن اللفظ الآخر، وهو ما سوغ الجمع بينهما.(٣)

وكذلك لفظ (باع ويمنى)، فالباع امتداد اليد بالشيء أو مد باعه بالشيء أي: ناول غيره أمرًا(٤)، واليمنى في البيت اليد اليمنى، ومسوغ الجمع بين الباع ويمين هو{وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ

(١) انظر: شرح ديوان المتنبي للعكبري: ١/ ٣٨٠.

(٢) المصدر السابق: ١/ ١٦٨.

(٣) انظر: تهذيب اللغة، مادة: بصر: ١٢/ ١٢٣.

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة: بوع: ١/ ٣١٨.

لَهُۥ سُجَّدًا ﴿١٠٠﴾ [يوسف: ١٠٠] ذكر الخاص بعد العام.(١)

أما العلاقة المجازية: هي تشبيه الجود برجل له عين يبصر بها، وحذف المستعار منه الرجل وذكر شيء من لوازمه وهو العين، وناظرها، علي سبيل الاستعارة المكنية الأصلية، والقرينة المانعة من المعنى الأصلي، أنت ناظرها، كما أن العين لا تجود بمحسوس.

كما أن تشبيه البأس برجل له باع غاية في القوة، والمتعارف عند العرب أن اليد اليمنى أشد ضربًا من اليسرى، لغلبة كون الفرسان ممن يستخدم اليد اليمنى، وحذف المستعار منه (الرجل) ورمز له بشيء من لوازمه (الباع) على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي هي (وأنت يمناه).

كما أن المناسبة الجامعة بين الألفاظ هي المعنى المعجمي والمعنى المجازي، والمناسبة في نظم الألفاظ في سلك واحد، هي: أن الشاعر وصف ممدوحه بأنه في ساحة الجود والكرم بمثابة النظر من العين، وهو أغلى ما يملكه الإنسان، وفي البأس بمنزلة اليد اليمنى من الجسد، كل ذلك مبالغة في المدح، وابتكارًا للصورة المتخيلة في المدح والثناء على الممدوح.

٤-**علاقة التنافر**: هي الجمع بين لفظين لمناسبة جامعة بينهما مع عدم اتحادهما في المعنى، أو كون أحدهما بمنزلة الضد للآخر، فيغلبون أحدهما على الآخر، فتقع تثنيتهما باللفظ الغالب؛ اختصارًا وتجوزًا وهو من جماليات بلاغة العرب وجمال أساليبها.(٢)

قال تعالى: " ورفع أبويه على العرش"، حيث جمعت الآية بين لفظي الأب والأم، وفي رواية خالته، في لفظ واحد (أبوين) لغلبة التذكير على التأنيث في لغة العرب مع اختلاف الجنسين،

(١) انظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي: ١٨٥.

(٢) انظر: مظاهر المناسبة في النحو العربي: ١٥٦.

والجامع بينهما الدلالة العامة وهي البشرية، والمجال الدلالي لألفاظ القرابة، وبلاغة الاختصار والإيجاز.[1]

قال المتنبي:

واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقت معًا[2]

فالشاعر جمع بين الشمس والقمر في لفظ واحد (القمرين) على عادة العرب في تغليب لفظ المذكر على المؤنث، ولمناسبة سوغت هذا الجمع، وهي أن الشمس والقمر من الأجرام السماوية، والشمس آية النهار المشرقة، والقمر آية الليل المنيرة، فعوضًا عن كونهما من الأجرام السماوية، فهما يجمعهما دلالة تعاقبية، فإذا أشرقت الشمس غرب القمر واختفى، وإذا غابت الشمس ظهر القمر وبرز.

أما العلاقة المجازية فهي: أن الشاعر مدح ممدوحته بأنها شمس في إضاءة وجهها، وقمر في حسنه، وهو تشبيه دارج عند العرب في تشبيههم جمال الإضاءة وقوته بالشمس؛ لسطوته وانتشاره، والقمر للجمال والإضاءة الساحرة الفاتنة، فجمع اللفظ بين عدَّة علاقات في لفظ واحد، ومسوغ الجمع المعنى الدلالي والمعجمي والمجازي والسياقي.

كما يصح أن الشاعر قصد بالقمرين: القمر في السماء، ووجه ممدوحته، فهما قمران في قت واحد.[3]

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، تحقيق: أحمد البردوني ، وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة_مصر_ ، ط١: ١٣٨٤هـ: ٧/ ٢٢٠

(٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري: ٢/ ٣٠٠.

(٣) انظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي: ٩٣.

٥- **علاقة الاشتقاق**: وهي أقوى علاقة بين المفردات؛ ذلك أن المناسبة بينهما ترجع إلى اشتراكهما في المادة اللغوية، هذا الاشتراك أقوى من المناسبة بين أي: لفظين آخرين لا ينتميان إلى مادة واحدة، قال ابن مالك:

"وهما: رجوعهما إلى مادة واحدة، واستواءهما في التصريف، بخلاف أرى وأظن فإنهما مختلفان في المادة والتصريف، أما الخالف في المادة فظاهر، وأما في التصرف فلأن أرى لم يستعمل له ماض، فقد بان مناسبة أرى لأظن أضعف من مناسبة أعلمت لعلمت".(١)

قال الشاعر:

أَنَا عاتِبٌ لتَعَتّبِكْ مُتَعَجّبٌ لتَعَجّبِكْ(٢)

قال هذه الأبيات مجيبًا لإنسان قال له سلمت عليك فلم ترد الجواب، فذكر الشاعر أنه واجد عليه لتكلفك العتب والجدة في النفس من غير سبب أو ذنب، كما أتعجب من تعجبك مني حين لم أرد عليك الجواب.

والاقتران هنا بين (عاتب وتعتبك)، و(متعجب لتعجبك)، حيث قرن الاسم والفعل المضارع الدال على التجدد وزمن الفعل، وهما من أصل واحد، عتب: الدال على الجدة.(٣) أما العجب:

(١) انظر: شرح التسهيل، جمال الدين محمد بن مالك، المطبعة الميرية، السعودية _مكة_ط١: ١٣١٩هـ: ٢/ ٣٦.

(٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري: ١/ ١٣٠.

(٣) انظر: جمهرة اللغة لابن دريد، تحقيق: رمزي خير منير، دار العلم للملايين، بيروت _لبنان_، ط١: ١٩٨٧م، مادة: عتب: ١/ ٢٥٥.

فهو أن تنكر الشيء فتعجب وتستغرب منه.[1]

كما أن للفظين دلالة زمنية في كون العتب والعجب بسبب عتبك وعجبك، هذا الجمع بين المشتقات ودلالة كل واحدة منها على أمر أو معنى يختلف عن الأول، حيث يجمل الكلام ويزين النسق البديع.

ولفظ (عاتب) اسم فاعل جمع بين الاسمية والفعلية، ولكل واحد منها دلالة تدل على جمال هذه اللغة ورونقها ومرونتها.

أما دلالتها السياقية فهي: أن المتنبي مقيم على الجود منك، والعجب من فعلك، بسبب تعتبك وتعجبك، ذلك أن عدم ردي السلام عليك بسبب شغلي بك وتفكيري في شأنك، ووجدي على فراقك.

ويقول المتنبي أيضًا:

من كل أحور في أنيابه شنب خمرٌ يخامرها مسك تخامره[2]

حيث قرن الشاعر بين لفظ (خمر) الاسم، (ويخامرها وتخامره) الفعلين المشتقين من (خمر)، وأصل الألفاظ واحد، والمعنى العام الرابط بين المشتقات واحد كذلك، وهو: المقاربة والمخالفة، ذلك أن الخمر تخالط العقل وتمازجه.[3] وكل شيء تركته في موضعه

(١) انظر: مختار الصحاح ، لزين الدين الرازي ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، بيروت_صيدا_ ، ط٥: ١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م ، مادة: عجب: ١/ ٢٠٠.

(٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري: ١/ ١١٦.

(٣) انظر: جمهرة اللغة، مادة: خمر: ١/ ٥٩١.

وتغير طعمه فقد تخمر [1]، فإذا تأملت الألفاظ في معناها المعجمي وجدتها تدل على المقاربة، وفي تواردها في نظم واحد دلت على المخالطة والمقاربة أيضًا، والعلاقة بين الألفاظ احتملت عدَّة معان، هي:

١ -أن الشاعر تغزل بنساء قبيلة عدي، وكنى عن حسنهن وجمالهن بالظباء، وذكر أن من أوصافهن أنهن حور العيون، أنيابهن شديدة البياض، تخالطها الخمرة من جمالها وسكرة الناظر إليها، ثم إن هذه الأنياب يخامرها الخمر الذي يطرب له الإنسان، ويخامرها المسك طيب الرائحة، فحملت الألفاظ في معانيها المعنى المعجمي الأول، والمعنى المجازي أيضًا.

٢ -أن المقصود بالخمر هنا المقاربة، وجمال الطعم، إذ هي تسكر الناظر إليها كما تسكر الخمر صاحبه، كأنه يقول: في أنيابه خمر، فقد خالطت المسك والمسك قد خالطها، [2] هذه الأنياب التي وصفها الشاعر هي للظباء، والظباء المقصود بها نساء قبيلة عدي، واللفظ (يخامر) مضارع يعود على الخمر، و(تخامره) يعود على المسك، فهي مؤنثة، ومعناها المخالطة والمقاربة.

٣- المعنى المجازي: وهو الكناية عن النساء بالظباء، وصفاء أنياب الضبي، بصفاء أنياب فتيات قبيلة عدي، هذه الأنياب من جمالها وعذوبة مائها كأن ماءها خمرة تخامر العقل وتسكره، كما أن رائحتها المسك: العطر طيب الرائحة، وهو تشبيه مركب من صورة منتزعة من عدّة صور.

---

(١) انظر: مختار الصحاح، مادة: خمر: ١/ ٩٧.

(٢) انظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي: ٣٢.

٤ – مراعاة النظير: وهو أن تجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد، [١] حيث يجمع في الكلام بين الألفاظ التي بينها مقاربة أو مناسبة، إذا كان بين الألفاظ تقارب وتوافق وتناسب.

وفي هذا الموضع من البحث فإن مراعاة النظير تكون من باب الاقتران بين المفردات لمناسبة اقتضاها الناظم وسياق الكلام، وليس المعنى الدلالي للألفاظ، ذلك أن الاقتران في العلاقات السابقة كان لمسوغ دلالي في جذر المفردات التي تواردت، وانتظمت في بيت واحد، أما في هذا الموضع فإن الاقتران بين الألفاظ لايرجع لجذر واحد، إنما انتظامها في سلك واحد؛ لعلاقة اقتضاها الكلام وترتيب الألفاظ.

هذا النوع من الاقتران كثير ومتنوع، ويخضع لرؤية الناظم والمعنى الذي يريد إيصاله، وأوردته هنا لبيان اتساعه وتنوعه، وأنه يتفق مع العلاقات السابقة في جزئيات ويختلف معها في نواحي أخرى.

قال المتنبي:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم[٢]

فالاقتران في البيت بين: (الخيل والليل والبيداء) في جملة واحدة، وهي ركن (فاعل) من أركان الجملة في الشطر الأول، إلا أن ما بين الخيل والليل والبيداء بعد دلالي، حيث لا تنتظم هذه الألفاظ في جذر واحد، إنما الخيل من الحيوانات، والليل من الأوقات والتقلبات الكونية، والبيداء بمعنى الصحراء، ترجع إلى

(١) انظر: الإيضاح: ٤/ ٥٨٣.

(٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري: ٣/ ٣٦٥.

جغرافية الأرض، ولكن الشاعر جمع بين هذه الألفاظ لعدة مناسبات هي:

مناسبة المعنى الذي يريده الشاعر من الفخر والاعتزاز بشجاعته، إذ الخيل وسيلة الفرسان، والليل كناية عن الظلمة والعتمة التي يهابها الفرسان، إلا أنه لا يهاب ذلك بل إن الليل يعرفه لشجاعته، وكثرة خوضه للمعارك.

كما أنه يقتحم الصحراء ويخوض المعارك فيها رغم شدتها، وصعوبة تضاريسها.

ومن العلاقات التناسبية بين هذه الألفاظ: المجاز الاستعاري، حيث شبه الليل والخيل والبيداء بإنسان يعرف من يجتاز به، والمخالط له على سبيل الاستعارة المكنية، حيث حذف المشبه به (المستعار منه) ورمز إليه بشيء من لوازمه (تعرفني).

إضافة إلى ما بين الخيل والليل من الجناس الناقص الذي يعطي جرسًا موسيقيًا بين الألفاظ.

أما الاقتران الدلالي فهو ما بين: (السيف والرمح والقرطاس والقلم). فالسيف سلاح من الفولاذ (الحديد) يضرب به في المعارك والحروب وهو نوع من الأسلحة، وكذلك الأمر في الرُّمح من السلاح؛ وجمعه أرماح، يتخذ من الحديد للقتال، وهو قناة في رأسها سنان يطعن به. (١)

فكلاهما سلاح ومصنوع من حديد، ومعناهما المعجمي يعود إلى جذر واحد وهو الآلة التي يقاتل بها في الحروب والمعارك، هذا المعنى أحد مسوغات التوارد

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة: سيف: ٣/ ١٢١.

بين المفردتين.

وكذلك الأمر في: القرطاس والقلم)[1]، فالقرطاس الصحيفة يكتب فيها، وهو ما يكتب به، وهو عود أنبوبي مبري على هيئة معينة. والجامع بين القرطاس والقلم هو الكتابة، وأنهما من الآلات الكتابية، ونظم الكلام وتأليفه، وهو المعنى المعجمي للفظين.

وجاءت مراعاة النظير بين اللفظين: السيف والرمح والقرطاس والقلم، حيث قرن بين الألفاظ المتلازمة في ساحة الحرب أو القتال، كما أن القلم والقرطاس مستلزمة لبعضها، فالكتابة في الغالب لا تكون إلا بقلم وقرطاس.

أما العلاقة الثالثة والجامعة بين هذه الألفاظ فهي: العلاقة المجازية، حيث جعل من السيف والرمح والقرطاس والقلم كالإنسان الذي يميز بين الأشياء ويعرفها، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه (يعرفني) على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية.

كما أن بين هذه المفردات جامع معنوي تناسبي أشمل: وهو إرادة الفخر بذكر أدوات الحرب والأدب، وهي تفاخرهما منذ الأزل.

كل هذه العلاقات بين المفردات تبين شيئًا من مناسبة الاقتران بين الألفاظ، وشيئًا من علاقات التوارد بين الكلمات الواردة في نظم واحد.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة: قلم: ٥/ ١٥.

الخاتمـــة:

وبعـد: فقـد تنـاول البحـث جملـة مـن العلاقـات بـين المفـردات المـواردة في جملـة واحـدة، والمناسـبة الجامعـة بـين السـياق اللغـوي والسـياق المعجمـي للمفـردة، وسـبب انتقاء الألفاظ ونظمها في جملة صحيحة.

والحـق أن المناسـبة بـين المفـردات دقيقـة المسـلك، تحتـاج إلـى تأمـل وروية، وتلمـس لجميـع المعـاني الدلاليـة المعجميـة واللغويـة، وإذا وردت لفظـة مخالفـة لـنظم سـياقها المعجمـي، انتظمـت في جملـة صـحيحة نحويًـا ودلاليًـا، فـإن مسـتوى الكـلام يمكـن أن ينتقـل مـن الحقيقـة إلـى المجـاز أو غيـره لعلاقـة مـا، هـذه العلاقـة حـرص البحـث علـى تلمسها وبيان سبب الجمع بينها.

وقـد بينـت هـذه الدراسـة قضـية تـوارد الألفـاظ في سـياق واحـد لدلالـة يقتضـيها نظـم الكـلام ومعنـاه، كمـا بينـت علاقـة الاقتـران بـين المفـردات لعلاقـة معجميـة أو سـياقية لغوية يتطلبها الكلام، فجاء البحث مقسم إلى قسمين:

- سياق التوارد بين المفردات.
- وسياق الاقتران المفردات.

وقد خلص البحث إلى عدة نتائج:

- اتساع المادة التناسبية بين المفردات وتنوع أغراضها.
- تنوع العلاقات الرابطة بين المفردات في نظم واحد، وعمقها.
- أن المناسـبة الرابطـة بـين المفـردات تتنـوع بتنـوع الأسـلوب، وتغيـر مقصـد الناظم، وتغير الدلالة.

- هذه الدراسة جزء من الدراسات الجامعة بين السياق المعجمي والسياق اللغوي، إذ هناك عدة مناسبات جامعة بين اللفظتين، كالاختيار والاصطفاء، وهيئة الكلمة وصوتها وجرسها وصيغتها.

هذا جهد المقل، وأسأل الله التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

التوصيات:

يجدر أن أشير إلى أهم التوصيات التي نتجت عن هذه الدراسة الدلالية للتوارد والاقتران بين المفردات، وهي:

١- دراسة التضاد بين المقترنات دراسة دلالية بلاغية، فالتضاد متنوع الصور والأشكال ومنه ما هو تضاد حقيقي وتضاد مجازي.

٢- دراسة اختلاف الدلالة المعنوية السياقية للألفاظ المتضادة من حيث الإفراد والتثنية والجمع.

٣- دراسة بعض فنون البديع التي تتقاطع مع الدلالة السياقية المعجمية واللغوية، كرد العجز على الصدر، ومراعاة النظير، والتناسب، وإيهام التناسب وإيهام التضاد، والمحيط اللغوي للألفاظ المقترنة، وغيرها.

ثبت المصادر والمراجع:

١. الإيضاح للخطيب القزويني، عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت _لبنان_ط٣: (د_ت).

٢. البرهان في علوم القرآن، للزركشي: محمد بن بهادر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، ودار المعارف، بيروت _لبنان_، ط١: ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

٣. بيان إعجاز القرآن، للخطابي، ت: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر _القاهرة_ط، ٣: ١٩٧٦م.

٤. البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، تمارم حسان، عالم الكتب، مصر _القاهرة_ط١: ١٤١٣هـ.

٥. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس: ١٩٨٤م.

٦. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة_مصر_، ط١: ١٣٨٤هـ.

٧. التقابلات الدلالية لسعيد أبو خضر، عالم الكتب الحديث، الأردن_ عمان_ط١: ١٤٢٥هـ.

٨. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: إبراهيم الإبياري. دار الكتاب العربي، القاهرة_مصر_: ١٩٦٧م.

٩. جمهرة اللغة لابن دريد، تحقيق: رمزي خير منير، دار العلم للملايين، بيروت _لبنان_، ط١: ١٩٨٧م.

١٠. دلائل الإعجاز، الجرجاني: عبد القاهر بن عبدالرحمن، علق عليه: محمود محمد

شاكر، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة_ مصر_، ط ٥: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

١١. شرح البرقوقي، عبدالرحمن البرقوقي، مؤسسة هنداوي، مصر _القاهرة_: ٢٠١٢م.

١٢. شرح التسهيل، جمال الدين محمد بن مالك، المطبعة الميرية، السعودية _مكة_ط١: ١٣١٩هـ.

١٣. شرح ديوان المتنبي لعلي بن أحمد الواحدي، ت: ياسين الأيوبي، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان.

١٤. شرح ديوان المتنبي للعكبري: عبدالله بن الحسن، ت: مصطفى السقا، دار المعرفة، لبنان_بيروت_(د. ط): ٢٠٠٨م.

١٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري الفارابي، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين لبنان- بيروت- ط٤: ١٤٠٧ هـ.

١٦. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى العلوي، المكتبة العصرية، بيروت_لبنان_، ط١: ١٤٢٣هـ.

١٧. علم الدلالة، كلود جرمان وريون لويكون، ت: نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا_ بنغازي_ ط١: ١٩٩٧م.

١٨. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، مصر_القاهرة_ ط٥: ١٩٩٨م.

١٩. علم الدلالة، لجون لاينز، ت: مجيد عبد الحليم الماشطة، منشورات كلية الآداب، العراق-البصرة-: ١٩٨٠م.

٢٠. الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة_مصر_: (د_ت).

٢١. في علم الدلالة: عبدالكريم محمد حسن، مكتب الآداب، القاهرة_ مصر_ط١: ١٤٢٦هـ.

٢٢. الكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر – الاسكندرية-: ١٩٨٠م.

٢٣. لسان العرب،، لابن منظور، دار صادر _بيروت_ لبنان_، ط١: ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م.

٢٤. اللسانيات المعاصرة في ضوء نظرية التواصل، نور الدين رايص، عالم الكتب الحديث، ط١: ٢٠١٤م.

٢٥. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان. عالم الكتب، القاهرة_مصر_ ط٥: ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م.

٢٦. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير: نصر الله بن محمد، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة(د_ت).

٢٧. مختار الصحاح، لزين الدين الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت_صيدا_، ط٥: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢٨. مدخل إلى علم اللغة، ناصر الهذيلي، مكتبة المتنبي، المملكة العربية السعودية _الدمام_ط١: ١٤٣٨م.

٢٩. مظاهر المناسبة في النحو العربي، مصطفى شعبان المصري، المكتب الجامعي الحديث، مصر_الإسكندرية_ ط١: ٢٠١٥م.

٣٠. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكري، تحقيق: عبدالسلام هارون. دار الجيل، بيروت _لبنان_: ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٣١. مفتاح العلوم، لأبي يعقوب السكاكي، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢: ١٤٠٧هـ.

٣٢. المناسبة في القرآن دراسة لغوية أسلوبية للعلاقات بين اللفظ والسياق اللغوي، مصطفى شعبان عبدالحميد، مكتبة المدينة، القاهرة، مصر، ط١: ٢٠٠٧م.

٣٣. منهج السياق في فهم النص، عبدالرحمن بو درع، كتاب الأمة، دورية وزارة شؤون الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٣٤. النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، محمد حماسة عبداللطيف، دار الشروق، مصر_القاهرة_ط١: ١٤٢٠هـ.